

تم تحميل هذا الكتاب
من موقع الملفات الإسلامية
<http://islamicfiles.net>

الْصَّلَاةُ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ



islamicFiles.Net

بِقِطْمِ
وَكْتَرِ مَبْرُوكِ عَطِيَّةٍ
الْأَسَازِ بِجَامِعَةِ الْأَزْهَرِ



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله
سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ،

وبعد :

فهذا عمل سمّيته (الصدقة أفضل العبادات) دعاني إلى الكتابة
فيه أني رأيت كثيراً من الناس يميلون إلى العبادة التي أسميها
« العبادة المجانية » من ذكر الله باللسان وصلاة التهجد بالليل
وصيام الاثنين والخميس وغير ذلك مما لا بأس به بلا شك ، وهم
قادرين على أن يتصدقوا والصدقة كما أرى أفضل العبادات ،
وشأن المسلم أن يبحث عن الأفضل في كل شيء ، ألا ترى إلى
قول أصحاب الكهف ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى

الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ
وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿ فقد سأل الفقيه عن أزكى
طعام ؛ أي أطيبه وأحله وأجمله ، وثبت أن النبي ﷺ كان
يأكل من الشاة لحم الكتف وهو أطيب ما فيها ، كما
دعانا ﷺ إلى أن نسأل الله تعالى الفردوس وهي أعلى الجنة ،
ولست أدري ما الذي دعا المسلمين إلى أن يقولوا (أي
حاجة) في جواب من سأهم : ما تأكلون ؟ وما تشربون ؟
وما تلبسون ؟ فهذا من تسريب الأفكار الرديئة التي أدت إلى
التخلف والإحباط واليأس الذي ينبغي ألا يعرف طريقه إلى
المسلم بحال من الأحوال ، وكما ذكرت أن الصدقة أفضل
العبادات ، وليس معنى ذلك أن غيرها مطروح أو منقوص ،
وإنما معناه أن كلاً ميسر لما خلق له ، وكما قال الإمام
مالك - رحمه الله - : قد يفتح الله لعبد في الصدقة ما لا يفتح
له في الصلاة والعكس ، وأنا أقول : إن الأمر مرده إلى الطاقة ،
فمن كان ذا مال كانت الصدقة سبيله إلى التقرب إلى الله
بلا شك ، وقد جاء في الحديث الصحيح أن أعلى المنازل من رزق
العلم والمال ، فهو كما قال ﷺ : « يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه » .

وقد قال العلماء في صلة الرحم : إنها بحسب الحال ،
أى أن القادر مادياً يصل رحمه بماله ، والعاجز يصلهم بالسؤال ،
ومن فقد المال وجد سبلاً متعددة للتقرب إلى الله ؛ منها أن
يقوم الليل أو أن يصوم أو أن يمسك عن الشر كما جاء في
الحديث ..

وسوف أقدم في هذه الرسالة - إن شاء الله - الأدلة المتعددة
التي تثبت أن الصدقة أفضل العبادات ، وأسأل الله التوفيق
والسداد وأن ينفع بها عياده الراغبين في خيري الدنيا والآخرة ،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على
خاتم رسله وأنبيائه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أ.د/ مبروك عطية

شيوخ الصدقة فى القرآن الكريم

ذكر العلماء أن القضية إذا شاعت فى القرآن الكريم كان لها
فضل كبير لاهتمام النظم الجليل بها ، ومن هذه القضايا الصدقة
بلا جدال ، ومن الأدلة على أنها أفضل العبادات فى القرآن
الكريم :

١ - الترغيب فيها ، والحث عليها ، قال الله تعالى :
﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ
سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ، وقول الله تعالى : (يُضَاعَفُ) بصيغة
المضارع الدالة على الاستمرار وبناء المفاعلة الدال على الزيادة ما
يدل على أن الصدقة أفضل العبادات ، وإن كان لمضاعفة الناس
حد فليس لمضاعفة الله عز وجل حد .

٢ - أن المتصدق لا يحرم من الأجر أبداً ، متى التزم بدفعها دون من ولا أذى ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝۱۱۲ ﴾ ، فقول الله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ ﴾ يدل على أن المتصدق غير محروم .

٣ - التعبير بالمقتضى الذى يرسل فى النفس أمرين : الابتهاج والسرور ، المستفاد من علم الله بصدقة العبد ، واليقين بالجزاء ؛ لأن علم الله تعالى بالشىء يقتضى إثابته عليه ، قال تعالى فى آية البقرة ٢٧٠ : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّن نَّذِيرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۚ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝۱۱۳ ﴾ .

٤ - أن إبداءها وإخفاءها سواء ، متى كان الإبداء خالياً من الرياء ، قال تعالى فى آية البقرة ٢٧١ :

﴿ إِن تَبَدُّوا الصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۚ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝۱۱۴ ﴾ .

٥ - ومن الآية السابقة استفاد أنها سبيل إلى تكفير السيئات .

٦ - أن الله تعالى جعلها سبيلاً مباشراً لابتغاء وجهه الكريم ، قال تعالى فى آية البقرة ٢٧٢ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِّنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِسْكُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِّنْ خَيْرٍ يُّوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝۱۱۵ ﴾ .

٧ - تكرار العلم الإلهى بها ، ألا ترى إلى قوله تعالى فى الآية ٢٧٣ من سورة البقرة : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَا يَبْتَغُونَ غَيْرَ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِّنْ خَيْرٍ يُّوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝۱۱۶ ﴾ .

لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ
اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٧٠﴾

٨ - أن المتصدق بمنزلة الشهيد ، وذلك لتساوى عجز
(آخر) آية الشهيد وآية المتصدق ، وهما قول الله تعالى في آية آل
عمران ١٧٠ : ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، وآية المتصدق ٢٧٤ من سورة
البقرة : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، وكذلك قوله تعالى في آية البقرة ٢٧٧ :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

ومعلوم رياضياً أن أ إذا كانت تساوى ب ، وب تساوى ج ،
فإن :

أ تساوى ج -

٩ - وأن الله تعالى جعلها أفضل اختيار في حال المعسر
المدين ، إما الإنظار (الإمهال) ، وإما التصديق عليه ، قال تعالى
في آية البقرة ٢٨٠ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى
مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .
١٠ - أن غير المتصدق أو المتصدق الذى لا يؤمن بالله واليوم
الآخر ظالم لنفسه ، قال تعالى في آية آل عمران ١١٧ :
﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ
فِيهَا صِهْرٌ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

١١ - أنها أول صفات المتقين ، الذين لولا علمهم بأنها أفضل
العبادات ما أنفقوا في الضراء كما أنفقوا في السراء ، قال تعالى في

آتَى آلَ عِمْرَانَ ١٣٣ وَ ١٣٤ : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾

١٢- أُنْهَ السَّبِيلَ إِلَى الْبِرِّ ، وَالْبِرُّ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ ، فَهِيَ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ ، قَالَ تَعَالَى فِي آيَةِ آلِ عِمْرَانَ ٩٢ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ٣ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ٤ ﴾ .

١٣- أنها ذكرت في موضع من المواضع الخطيرة حيث الرغبة في الانتقام ، أو قبول الدية التي تخفف منه فقال تعالى في آية النساء ٩٢ : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطْئًا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ

كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى
أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٠﴾ إِذَا
كَانَتِ الدِّيَةُ فِي الْقَتْلِ الْخَطَا تَشْفَى بَعْضَ الْغَلِيلِ ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ
عِنْدَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ خَطَاً أَكْثَرَ شَفَاءٍ .

١٤- وأما جهاد في سبيل الله ، لا يقل عن الجهاد بالنفس ، قال تعالى في آية النساء ٩٥ : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ

النساء ١١٤ : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجَوُهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ

بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ^ج وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦﴾

١٦- أنها من ميثاق الله عز وجل ، وميثاقه تعالى عظيم ، ووعدته من أخذه على نفسه دينًا واحتسابًا مبتغى كل عاقل ، وهو تكفير السيئات ودخول الجنات ، قال تعالى في آية المائدة ١٢: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا^ط وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ^ط لَئِنْ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ^ج فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٦﴾

١٧- أنها كثيرًا ما تقترون بإقامة الصلاة عماد الدين ، وتذكر في سياق أولياء الله الصالحين ، قال تعالى في آية المائدة ٥٥ :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١٧﴾

١٨- أن المتصدق موعود بتوفية أجره يوم لا ينفع مال ولا بنون ، قال تعالى في آية الأنفال ٦٠ : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ^ج وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿١٨﴾

١٩- أن الله ذكرها في سياق المؤمنين حقًا ، وفي هذا من رفعتها وعلو مكانتها ما يفهمه اللبيب ، ويعقله الأريب ذو القلب المنيب إلى الله السميع القريب ، قال تعالى في الآيتين ٣ و ٤ من سورة الأنفال : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ

دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٢﴾ ، وقال في خواتيمها : الآية ٧٢ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهِاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهِاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ، وكذلك قوله تعالى في الآية ٧٤ من نفس السورة : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

٢٠- وقد جاء النص على أنها أفضل العبادات من حيث كون المجاهدين بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، قال تعالى في آية التوبة ٢٠ و ٢١ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾

وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٧٣﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٧٤﴾ .

٢١- أن الله تعالى جعلها دليل إيمان ، والتخلف عنها دليل نفاق ، قال تعالى في آية التوبة ٤٦ : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ .

٢٢- وأنه تعالى لا يتقبلها من الفاسقين ، ومعنى ذلك أنه تعالى يتقبلها من المتقين ، قال عز وعلا في آية التوبة ٥٣ : ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ .

٢٣- وجعل سبحانه وتعالى الإمساك من صفات المنافقين ، بل عده ضرباً من نسيان الله تعالى ، فمن ذكر الله تصدق ومن نسيه قبض يده ، ألا ترى إلى قوله تعالى في آية التوبة ٦٧ : ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ^ع
نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ^ث إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧٧﴾

٢٤- وأن من عاهد الله عليها إن آتاه خيراً ثم بخل أعقبه الله
نفاقاً في قلبه إلى يوم يلقاه ، قال تعالى في آيات التوبة
(٧٧-٧٥) : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ
فَضْلٍ لَّنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٧٥) فَلَمَّا ءَاتَيْنَهُمْ
مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾
فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا
وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾

٢٥- وأن الذي يسخر من المتصدق بصدقة قليلة لا يجد
وسيلة إلى الكثيرة ؛ يسخر الله منه وله عذاب أليم ، قال تعالى في
آية التوبة ٧٩ : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ^١ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

٢٦- أن الله تعالى قد مدح بها بعض الأعراب الذين يؤمنون
بالله واليوم الآخر ووعدهم بوسع رحمته ، قال تعالى في آية التوبة
٩٩ : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ^ع أَلَّا يَأْتِيَ
قُرْبَةً هُمْ سَيَدَخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ^ث إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

٢٧- أنها السبيل إلى تطهير النفس وتزكيتها وصلاة الرسول
التي هي سكن للمتصدقين ، قال تعالى في آية التوبة ١٠٣ :
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ^ط
إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ^ث وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ، وقد ثبت أن
النبي ﷺ صلى على آل أبي أوفى ، أى دعا لهم عندما أتوه
بصدقاتهم ، فقال ﷺ : اللهم صل على آل أبي أوفى .

٢٨- وقد جاء النظم الكريم بأن الله يأخذ الصدقات ، وهذا
التعبير يدل على علو مكان الصدقات ، قال سبحانه وتعالى في آية

التوبة ١٠٤ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

٢٩- وأن الله اشتراها من المؤمنين كما اشترى منهم أنفسهم بأن لهم الجنة ، قال تعالى في آية التوبة ١١١ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ^٤ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

٣٠- وأن صغيرها وكبيرها عمل مأجور عليه ، وهو أحسن ما يقدمه العبد ، قال تعالى في آية التوبة ١٢١ : ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

٣١- وأن الله تعالى يجزي عليها فلا يدخل السرور على قلب المتصدق شكر المتصدق عليه ولا كتابة الشعر فيه ، قال ربنا تعالى في آية يوسف ٨٨ : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَنَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا^٥ إِنَّ اللَّهَ تَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

٣٢- وأنها ذكرت في سياق الحديث عن أولى الألباب ، ومعروف أنهم الذين يتذكرون وعلى ما ينفعهم يحرسون ، وهم بالطبع المكلفون إذ العقل مناط التكليف ، قال تعالى في آيات الرعد (١٩-٢٤) : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى^٦ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ^٧ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ^٨ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ^٩ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ

بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ هُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتْ عَدَنُ
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ
وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

٣٣- وأما دليل على قدرة العبد ، بل على حريته ، وهذا
معنى جديد من معاني الحرية الحقيقية ، تأمل قول الله تعالى في آية
النحل ٧٥ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى
شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا
هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۚ ﴾

٣٤- وأما دليل شكر ، وعنوان صدق ، قال تعالى في
إبراهيم عليه السلام - وهو الكريم - في آيات النحل
(١٢٠-١٢٢) : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا
وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ

وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾

٣٥- وأما السبيل إلى رضا الله عز وجل ، قال تعالى في آية
مريم (٥٤ و ٥٥) : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ
صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۚ ﴾

٣٦- وأما من صفات المخبتين ، الذين هم برحمة الله من المبشرين ،
قال تعالى في آية الحج (٣٤ و ٣٥) : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾
الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ
وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۚ ﴾

٣٧- وأن الله تعالى من أجلها سخر لنا ما يذبح ، ليكون
الإطعام منه وسيلة لشكره ، وشكره يزيد النعم ويرفع النقم ،

قال تعالى في آية الحج ٣٦ : ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .

٣٨- وأنها دليل على نصره الدين ، قال تعالى في آيتي الحج (٤٠-٤١) : ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ .

٣٩- وأنها من صفات المؤمنين المفلحين ، قال تعالى في آية المؤمنين ٤ : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ .

٤٠- وأن الله تعالى هوى عن الحلف على منعها ، إذا أساء المتصدق عليه ، قال تعالى في آية النور ٢٢ : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُواْ

الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، وقد نزلت الآية الكريمة في الصديق ﷺ عندما حلف أن يمنع قريباً له اسمه مسطح ، ما كان يعطيه لما خاض في حادثة الإفك ، فلما نزلت قال : بلى أحب أن يغفر الله لي ، ورجع عليه ما كان يعطيه .

٤١- أنها من صفات الرجال ، الذين ما ذكروا في القرآن الكريم إلا بنيل الصفات وكريم الشمائل ، قال تعالى في آيتي النور (٣٦-٣٧) : ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ .

٤٢- وأنها من صفات عباد الرحمن الذين هم بلا شك منفقون ، بدليل التعبير بإذا الدالة على اليقين ، قال تعالى في آية

الفرقان ٦٧ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ .

٤٣- وأن الذى منعها وأبى أن يحسن كما أحسن الله إليه خسف الله به وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ، قال الله تعالى فى آيتى القصص ٧٧ و ٧٨ : ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ قال إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ؕ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ؕ وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ .

٤٤- وأنها فى مقابلة الربا المحرم الذى يظن أهله أنهم به يضعفون أموالهم ، ويزيدونها ، قال تعالى فى آية الروم ٣٩ :

﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ .

٤٥- وأنها ذكرت فى سياق المؤمنين الذين أعد الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من نعم ، قال تعالى فى آيات السجدة (١٥-١٨) : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِعَآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ .

٤٦- أنها من منهج أعده الله تعالى لآل البيت كى يذهب عنهم الرجس ويبطهرهم تطهيرا ، قال سبحانه وتعالى فى آية

الأحزاب ٣٣ : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ۚ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۖ ﴾

٤٧- أنها وقعت بين الخشوع والصيام ، وموقعها بين
فضيلتين يدل على شرفها ، وعلى الجمع بين عمل القلب
وعمل البدن ، قال تعالى في آية الأحزاب ٣٥ : ﴿ إِنَّ
الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ۖ ﴾

٤٨- وأنها ذكرت في سياق من يرجو تجارة لن تبور ، قال
تعالى في آيتي فاطر ٢٩ و ٣٠ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ
اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٣٠﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم
مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۖ ﴾

٤٩- وأن المعارض عليها كافر ، ألا ترى إلى قوله تعالى في آية
يس ٤٧ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنَّا
أَنُتِمُّ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ وقد ثبت أن الصديق عليه السلام
حارب المرتدين لما منعوا الزكاة .

٥٠- وأنها ذكرت في سياق من مدحه الله بالمدح الصريح
فقال فيه : نعم العبد ، وذلك سليمان عليه السلام ، قال تعالى في آيات
ص (٣٠-٣٣) : ﴿ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ
إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٣﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣٤﴾

فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ
بِالْحِجَابِ ﴿٥١﴾ رُدُّوْهَا عَلَىٰ فُطُفٍ مَّسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٥٢﴾ .

٥١- وأما خصت بالذكر في منع الكافرين إياها مع أنهم
يمنعون كل خير ولا يصلون ولا يصومون ، ولا يتلون كتاب الله
ولا يعملون ما لا يحصى من الخيرات ، قال تعالى في آيتي
فصلت ٧٦ : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ .

٥٢- وأما دليل استجابة لرب العالمين ، قال الله تعالى في آية
الشورى ٣٨ : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

تمت بحمد الله